

الخوارج: سماتُ نعم وجامع أفكارهم

د. إدريس بن الضاوية
رئيس المجلس العلمي المحلي بالعرائش
أستاذ بكلية الآداب بشكوان

إن أكرم جيل عرفته الأمة، جيل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الذي امتاز بصفات استوجب بها تعديل الله تعالى له، واعظام الشناء عليه.

قال ابن حبان: والله جل وعلا نزه أقدار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن إلزاق القدح بهم، حيث قال: (يوم لا يخزي الله النبيء والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير). فمن أخبر الله جل وعلا أنه لا يخزيه في القيامة فالحرى ألا يجرح¹.

واستحق لهذا التفرد ثناءه صلى الله عليه وسلم عليه في مثل قوله: "النجوم أمانة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا أنا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"².

ولأجل ذلك أجمعت الأمة على ضرورة اعتقاد سلامة باطنهم، واستقامة حالهم، وحسن مصيرهم³.

ويرجع سبب هذا الثناء، إلى تحققهم بصفات أولياء الله تعالى الذين قال فيهم: (يا أيها الذين آمنوا من يتردد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)، (المائدة 54).

ثم خلف بعدهم خلوف بعد فتنة حرب علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - في الجمل، وهرج الفريقين في صفين، فارقوهم في الفهم، وخالفوهم في الاعتقاد، وعاكسوهم في مفهوم الإمامة، وضادوهم في طريقة الاستدلال، ورغبوا عن مسلكهم في الاحتجاج.

وصدق عليهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"⁴.

وقد عاش الصحابة الذين تأخرت وفاتهم مثل: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن أبي أوفى، وأنس بن مالك.. آثار أهواء هذه الخلوف، التي كانت هي الأصل في تعدد التفرق في القرون الخالفة، ففرغوا أنفسهم لعلاجها، وتفسير نواقض حججها من كتاب الله، وما بلغ آذانهم من صحيح سنة رسوله (ص).

وكانت أبرز الأهواء المُعوصة، والفرق المتعبة، والمعضلات المقلقة التي انبروا لها: هوى التعثمان⁵، والتشيع⁶، والقدر⁷، والجبر⁸، والإرجاء⁹، والخروج¹⁰ الذي هو رأس هذه الأهواء وأقدمها وأخطرها، لأن أهله أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع؛ وأول فتنة ظهرت في الإسلام بشهادة النبي عليه السلام¹¹، وكان أول خروج لهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما رأى رأسهم ذو الخويصرة خرقوص بن زهير التميمي قسمة النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال: "يا محمد، اعدل فإنك لم تعدل"¹².

واشتدت شوكتهم في حرب صفين، لما اختار علي كرم الله وجهه قبول التحكيم¹³.

فرق الخوارج

وهم حسب عد أبي المظفر الإسفراييني وجماعة من مؤرخي الفرق، عشرون فرقة¹⁴. كل فرقة منهم تأولت غير التأويل الذي تأولته الفرقة الأخرى، وزعمت أنه هو الذي قصده صاحب الشرع¹⁵. وتتقدم هذه الفرق جميعا ست فرق، هي:

الأزارقة¹⁶؛ والنَّجْدَات، أو النجدية¹⁷؛ والصُّفْرية¹⁸ على المشهور أو الصُّفْرية على ما صوبه الأصمعي¹⁹؛ والعَجَّاردة²⁰؛ والإباضية²¹؛ والثعالبة²²؛ وكلهم حرورية، والباقون فروعهم ويجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلي، وتكفير أصحاب الكبائر لجهلهم بالله؛ ويرون الخروج على الإمام إذا خالف ما لا يجوز خلافه في نظرهم أمرا لازما.

مميزات الخوارج

للخوارج سمات يعرفون بها، وعلامات يهرمون عليها بقصد التمييز عن سواد

المسلمين، تشمل ثلاثة أمور:

1 - المظهر؛

2 - العبادة؛

3 - الأفكار.

- أما المظهر فله خمس علامات :

الأولى: أنهم يحلقون رؤوسهم ليميزوا عن سواد المسلمين، وليعلنوا تفردهم بالحق عنهم، وليحصل التعارف بينهم بين أهل الدين؛ وليعلنوا به انتسابهم لإمامهم ذي الخويرة الذي كان مخلوق الرأس²³، الذي جادل النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنائم حنين لما لم يفقه مقاصدها، ولم يدرك حكمتها، ولم يبصر نوع العوض المعنوي فيها. ولم يعلم أنها كانت "خالصة لمن شهد الحديبية"²⁴.

فعن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه. قيل ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق، أو التحالق²⁵، أو قال: التسبيد"²⁶. "والتسبيد هو حلق شعر الرأس واستئصاله"²⁷.

وعن سهيل بن حنيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يتيه - أي يذهبون عن الصواب وعن طريق الحق - قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم²⁸.

وقد عرض للأحنف بن قيس مثل ذلك في كشف رأسه مع عمر بن الخطاب، لأنه أعجبه ما سمعه منه من البلاغة والحكمة، فخشي أن يكون من الذين قال فيهم النبي عليه السلام: أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان. فكشف عن رأس الأحنف، فوجده ذا شعر، وأثنى عليه قومه، فسر بذلك عمر²⁹.

وعن قيس بن حازم، أن عمر بن الخطاب كشف عن رأس صبيغ بن عسل، فإذا له شعر، فقال: لو وجدته محلوقا لعاقبتك أشد العقوبة³⁰.

ولأجل هذا كان السلف يوفرون شعورهم لا يحلقونها، خلافا لهذه الفرقة المارقة التي جعلته شعارا لها³¹.

الثانية: أنهم لا يهتمون بمظهرهم ولا يتجملون بزيهم، ويلبسون أردأ ما يجدون لينافروا المنعمين، وليباينوا المتمتعين³²، وليحققوا في أنفسهم ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم: "البذاذة من الإيمان"³³، الذي فهموا منها حقارة المتاع، وضيق العيش؛ وجعلوها شرطا في الإمامة³⁴، لأنها كانت صفة في زعيمهم ذي الخويصرة الذي كان يحلق رأسه ويكشفه، ويلبس أقبح ما يجد من الثياب لينسب إلى الزهادة والقشافة، وتتمام الرثاثة.

وهذه السمة الخارجية، بخلاف هدي النبي صلى الله عليه، وبعكس مسلك خيار أصحابه؛ وقد حكى ابن عباس أنه لما أرسله علي إليهم لينظرهم في فهمهم، تعمد أخذ زينته عندهم، ليعلن خلافهم، قال رضي الله عنه: كنت رجلا حسن الخلق لا أؤذي أحدا؛ قال: فلبست أحسن ما يكون من اليمينية،

وترجلت ثم دخلت عليهم - وهم قائلون - فقالوا لي: ما هذا اللباس؟ فتلوت عليهم القرآن: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)؛ ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس أحسن ما يكون من اليمانية فقالوا لا بأس³⁵.

والثالثة: أنهم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، لا بصيرة لهم، ولا تجارب، يتميزون في غالبهم بخفة العقل التي لا يكتمل معها التمييز المعين على فهم مراد الله تعالى، من جمهور آياته التي يفسر بعضها بعضا، ويكمل بعضها بعضا.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من غير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم...³⁶.

وعليهم يصدق حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن بين يدي الساعة الهرج. قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل. قالوا: أكثر مما نقتل؟ إنا لنقتل كل عام أكثر من سبعين ألفا. قال: إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضا. قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟، قال: إنه لتتزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء³⁷.

والرابعة: أنهم يرفضون سماحة الإسلام، ويعاكسون يسره، الذي عرف من سيرة نبيه، وأحكام شرعته، وتصرفات أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وينكرون ما ورد من ذلك من طرق الأثبات.

فمن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذي الخويصرة الذي قال له: "لم أرك عدلت": إنه سيكون له شيعه، يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه، كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يجد شيئاً، ثم ينظر في القدح فلا يوجد شيء..³⁸.

والخامسة: أنهم يحسنون رفع الشعارات الذي يفيد ظاهرها الصدق، كشعار الدعاء إلى كتاب الله، والعدل، واختصاص الله بالحكم.. المأخوذة من ظواهر القرآن دون فقه تنزيلها. وقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بإحسان القول، وإساءة الفعل الناتج عن سوء تأويل القرآن الذي سفكوا به دماء، وانتهكوا به أعراضاً، واستحلوا به حرماً..

وكانوا في أيام شوكتهم، يخرجون بسيوفهم في الأسواق، فيجتمع الناس على غفلة، فينادون: "لا حَكمَ إلا الله" ويضعون سيوفهم فيمن يلحقون من الناس³⁹.

فمن أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه... والفوق موضع الوتر من السهم - ورجوع السهم إليه محال⁴⁰ سيماهم التحليق⁴¹.

وعلى هذا قاتلهم علي كرم الله وجهه،⁴² الذي صدقت عليه نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم، التي رواها عنه أبو سعيد الخدري، قال:

كنا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إلينا قد انقطع

شسع نعله، فرمى بها إلى علي، فقال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله⁴³. فقال أبو بكر: أنا؟ قال: لا. قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن صاحب النعل - يريد على بن أبي طالب -⁴⁴.

- أما العبادة -

فكانوا غالبين فيها أشد ما يكون الغلو، لأنهم يرونها فارقة بين الإيمان والكفر، إذ حسبوا أنها منحصرة في الفرائض، وفي الإتيان بأضعاف النوافل من جنسها، لنيل القربى، والحظوة بالزلفى، ولم يعدوا في العبادة إعمار الأرض، والتفاعل مع منافعها للقيام بحق التسخير.

وقد اتفقت الأحاديث التي وردت فيهم، والآثار التي عرفت بهم، والكتب التي ترجمت لهم، أنهم يكثرون من الصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، ويتفرغون لتتبع تصرفات الناس للإنكار عليهم عندما يخالفون ما يعتقدون. وكانت هذه الأعمال تأخذ جل ساعات اليوم، حتى إذا ما نظر إليها المتعبد في ظاهرها، وعدّها بطولها، وزمنها، ثم قارنها بتنقله وحاله في عبادته، عد عمله أقل ثواباً، وأنقص أجراً.

فعن زيد بن وهب، أنه كان في الجيش الذين خرجوا مع علي الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

إنه سيخرج من أمتي قوم، يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلواتكم إلى صلواتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن، يرون أنه لهم وهو عليهم، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية..⁴⁵

- أما الأفكار فتنقسم إلى قسمين :

قسم اعتقادي؛ وقسم سياسي .

أما الاعتقادي فيشمل: الأصول، والفروع.

أما الأصول، فلهم فيها مذاهب منكّرة للمعلوم من الدين بالضرورة، اختاروها بالهوى دون أن تكون لهم حجة من سمع، أو عقل، أو عمل متقدم معتبر، منها:

- أنهم يقولون إن كلام الله تعالى حادث مفتتح الوجود، وليس بقديم، وإلى قولهم صار جماعة من أهل الأهواء الذين أتوا بعدهم كالمعتزلة⁴⁶.

- وأنهم ينكرون إلهية بعض سور القرآن: كسورة يوسف التي نزهاها الله عنها بزعمهم، لحديثها عن العشق، والعاشق، والمعشوق⁴⁷.

- ويكذبون بصفات الله تعالى⁴⁸.

- ويجحدون ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم من أشراف الساعة، كالدجال، وطلوع الشمس من مغربها.

- ويكذبون بعذاب القبر، وبالشفاعة.

ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا⁴⁹. - أي قد احترقوا وصاروا فحماً، والمَحْشُ احتراقُ الجلد وظهورُ العظم.

ويكذبون بالحوض⁵⁰.

- وينكرون سؤال القبر، وعذاب القبر، وحياة البرزخ التي تظاهرت بها الأخبار،

ويعدونه من المحال، ومن القول الخطأ، لأن الميت قد فارقه الروح، وزايلته المعرفة، فلو كان يألم وينعم - في نظرهم - لكان حياً لا ميتاً، ولا فرق بين الحي والميت إلا الحس، فمن كان يحس الأشياء فهو حي، ومن كان لا يحسها فهو ميت، ومحال اجتماع الحس وفقد الحس في جسم واحد⁵¹.

- ويردون ما زاد على القرآن من الحديث مطلقاً⁵².

- ويرفضون أحاديث الصحابة المكفرين عندهم، كأحاديث عثمان، وأحاديث علي، وأحاديث من والاهما، وأحاديث من أتى كبيرة من الكبائر، وأحاديث من خالفهم في المشرب، لأنه عندهم جاهل بالله لا يستحق وصف العدالة الموجب لقبول الرواية. - ويعدون دار مخالفيهم دار كفر، ويجوز فيها قتل الأطفال والنساء⁵³.

قال أبو المظفر الإسفراييني:

العلوم المتعلقة بأحاديث المصطفى، والتمييز بين الصحيح والسقيم من الروايات، ومعرفة السلف الصالح، لا حظ في شيء منها لأحد من الخوارج.. وكيف يكون فيه حظ لمن يدعي أن في القرآن زيادة ونقصاً، ويقدح في الصحابة الذين عليهم مدار الأحاديث، بل لا يبالى بأن يُقدم عليهم بالتضليل والتكفير⁵⁴.

وقال ابن عبد البر:

أجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار - فيما علمت - على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا، إلا الخوارج، وطوائف من أهل البدع، شرذمة لا تعد خلافاً⁵⁵.

وأنهم يصيرون الكبائر والصغائر شيئا واحدا بالنظر إلى المعاصي؛ وهذا جعلهم يقولون: من نظر نظرة صغيرة، أو كذب كذبة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك⁵⁶. ولم يجدوا إلى الحجة سبيلا من عقل ولا سمع⁵⁷، وهذا الاعتقاد الذي جعلوه مطية للطعن في عامة المسلمين، مخالف للآيات المُفرقة بين الصغائر والكبائر، مثل قوله تعالى: (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللثم)، النجم 32. وقوله سبحانه: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)،⁵⁸ النساء 31.

وأنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنبا واحدا⁵⁹ من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر، ويكون في النار خالدا مخلدا⁶⁰، إلا النجّادات منهم، فإنهم قالوا: إن الفاسق كافر، على معنى أنه كافر نعمة ربه، فيكون إطلاق هذه التسمية عند هؤلاء منهم على معنى الكفران، لا على معنى الكفر. لأن الإيمان عندهم لا يكون إلا بفعل الطاعات المفترضة كلها، بالقلب واللسان وسائر الجوارح، خلافا لأهل السنة الذين يرون أن أصل الإيمان المعرفة بالله، والتصديق له، وبما جاء من عنده بالقلب واللسان،.. فإذا أتى بهذا الأصل، فقد دخل في الإيمان، ولزمه اسمه وأحكامه، ولا يكون مستكملا له حتى يأتي بفرعه، وفرعه أخذ الفرائض واجتناب المحارم⁶¹.

وهذا الاعتقاد في الإيمان عندهم، حملهم على تكفير المسلمين، واستباحة دمهم. فكانوا يخرجون بسيوفهم في الأسواق، فيجتمع الناس على غفلة، فينادون: "لا حَكَمَ إلا الله" ويضعون سيوفهم فيمن يلحقون من الناس: فلا يزالون يقتلون حتى يقتلوا. وكان الواحد منهم إذا خرج للتحكيم لا يرجع أو يقتل، فكان الناس منهم على وجل وفتنة⁶².

ولم يدركوا أن الله تعالى بين في كتابه أن الفاسق له منزلة بين الإيمان والكفر، بقوله: (والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون). ولم يقل إنهم مع فسقهم كفار كما قال الخوارج، وأثبت لهم اسم الفسق فقط، فهم فساق لا مؤمنون ولا كافرون، كما قال الله عز وجل، وأجمعت عليه الأمة، والأمة مجمعة على اسم الفسق لأهل الكبائر، وإنما هو اسم، ومنزلة بين الكفر والإيمان أجمعت الأمة على ذلك..⁶³.

— وأما الفروع فلهم فيها مفاهيم، باينوا بها كل المذاهب الإسلامية المعتمدة في مجموع أرض الإسلام، بسبب موقفهم السيئ من السنة، وبسبب الظاهرية المجتزئة في الاستدلال، منها أنهم:

- أنكروا الصلاة في جماعة، وكرهوا أن يأتّم أحد بأحد في صلاته، إلا أن يكون نبياً أو صديقاً⁶⁴.

- ويقولون: من أتى كبيرة كالزنا، والقذف⁶⁵، والارتشاء⁶⁶، فقد جهل الله، ومن جهل الله تعالى فهو كافر لجهله بالله، لا لإتيانه الكبيرة⁶⁷.

- ويقولون بأن حد الزاني المحصن الجلد، دون الرجم الثابت بالسنة القولية، والفعلية، والإجماع⁶⁸.

- ويقولون بأن الحائض يجب عليها أداء الصلاة في أيام حيضها، ونحوها من الفرائض كالصيام والطواف.. للأدلة العامة الحائثة على إقامة العبادات في وقتها، على شرط الله تعالى بزعمهم⁶⁹؛ رافضين الحجة التي نقلتها الجماعة التي لا يجوز في خبرها الخطأ ولا السهو ولا الكذب. "ومن جحد من فرائض الله عز وجل شيئاً بعد قيام الحجة عليه به، فهو من ملة الإسلام خارج"⁷⁰، كما قرره العلماء المحققون.

- وأباحوا الجمع بين من عدا الأختين: كالمرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، لقوله تعالى: (وأحل لكم ما وراء ذلكم..) ⁷¹.

- ولم يقيموا الحد على قاذف الرجل المحصن، وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء، لظاهر قوله تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة)، النور 4.

- وقطعوا يد السارق من الإبط، ⁷² في القليل والكثير، ولم يعتبروا في السرقة نصاباً، لإنكارهم ما صح من رواية الثقات، وما أجمع عليه فقهاء الأمصار الأثبات.

- وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادراً، وإن لم يكن قادراً فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر ⁷³.

- وكفوا عن أموال أهل الذمة وعن التعرض لهم مطلقاً، وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب، فمنهم من يفعل ذلك مطلقاً بغير دعوة منهم، ومنهم من يدعو أولاً، ثم يفتك ⁷⁴.

- وقسم سياسي، ويشتمل على آراء خطيرة أثرت في وحدة الأمة وفي تماسكها، منها:

- أنهم يزعمون أن علياً، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، وكل من رضي بالحكمين، كفروا كلهم ⁷⁵. وهذا معظم ذنوب الخوارج الناتج عن لِيّ معاني الآيات، الذي وصفهم به النبي صلى الله عليه وسلم ⁷⁶؛ وعليهم يصدق قوله: "من قال لأخيه: "يا كافر"، فقد باء بها أحدهما" ⁷⁷.

وكان من حججهم في القول ببطلان تحكيم الحكم، قوله تعالى ⁷⁸: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ⁷⁹، المائدة 44.

- وقوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)، المائدة 45.
- وقوله: (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)⁸⁰، المائدة 47.
- ونسوا أن الله تعالى قد حكم الناس في كتابه في غير موضع؛ قال عز وجل في جزاء الصيد: (يحكم به ذوا عدل منكم)، المائدة 95.
- وقال تعالى: (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يَصَالِحا بينهما صلحا)، النساء 128.
- وقال: (وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما)، النساء 35. يعني الزوج والزوجة.
- وقال: (ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تَبْعَمُ الشيطان إلا قليلاً)⁸¹ النساء 83.
- قال أبو الحسين اللمطي:
- فهذا محكم القرآن، قد جعل أحكاماً كثيرة إلى العلماء، وإلى الأمراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله، فكيف قلتم: "لا حَكَمَ إلا الله". فإن أبي الخوارج هذا الشرح ومحكم الكتاب، ظهر جهلهم. وإن قالوا به، تركوا قولهم، ورجعوا إلى الحق⁸².
- ومنها: أنهم يجوزون الخروج على الإمام الجائر في اعتقادهم⁸³. وهذا حملهم على الطعن في عثمان، وفي علي، وفي معاوية، وفيمن تلاهم من أمراء بني أمية، وبني العباس الذي هم في حسابهم أئمة جور، التي جعلوها القية لفتنة حدثاء

الأسنان، بحق تحكيم الله تعالى الذي قامت به السماوات والأرض، وبحق العدل الذي هو مقصد الشرع الأكبر؛ وجعلهم يطعنون في عامة ولاية الأمة وعمالها من الصحابة وخيار التابعين، بل حملهم على الطعن في الأنبياء الذين حكى القرآن الكريم عنهم بعض ما يخالف العصمة في فهمهم مثل: آدم، ونوح، وإبراهيم، وداود، وسليمان، ويوسف، عليهم جميعاً أفضل السلام⁸⁴.

ومنها: أنهم يسعون في تفرقة أمر الأمة، ويدعون إلى اعتزال سوادها، لاتهامهم لها في دينها، واعتقادهم ضلالها.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بحلّة دم من يسعى إلى تفرقة جمع المؤمنين، ويجري في مفارقة سبيل المتقين، عندما قال: "إنها ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهم جميع، فاضربوا رأسه بالسيف كائناً من كان"⁸⁵.

وعندما قال: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"⁸⁶.

وعندما قال: "من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمره قلبه، فليطعه إن استطاع.. فإن جاء أحد ينازعه، فاضربوا عنق الآخر"⁸⁷.

سبب ضلال الخوارج

وقد تتبع ما نسبت إليهم النصوص من ابتداعات، وعزا المحققون إليهم من

مقولات، وما انتقدوا عليهم من أمور مهلكات، فوجدت أن أفكارهم ترجع إلى جملة أمور، تندرج تحتها جزئيات كثيرة، تتفرع عنها على جهة الزوم:

الأول: إتباعهم ما تشابه من آي القرآن الكريم، على طريقة أهل الزيغ، دون أن يكلوا أمر ما جهلوه إلى عالمه⁸⁸. "واعتقادهم أن السمع ورد بعقائدهم، فجحدوا كل ما خالف ذلك مما لم يعلموه، وتأولوا ما علموه، ففحش جهلهم⁸⁹، حيث قدموا الأكاذيب «المعلوم» عند أهل السمع بطلانها على المتواترات..⁹⁰".

فعن أبي أمامة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا اثنتين ولا ثلاثاً فعدد مراراً، يقول في الخوارج: كلاب النار، هؤلاء لشر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلوا هؤلاء. ثم تلا فيهم قوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

وقوله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب)، آل عمران 7.

ثم أخذ أبو أمامة بيد أبي غالب فقال: أما إنهم بأرضك كثير، فأعاذك الله تعالى منهم⁹¹.

وبسبب اتباع المتشابه، نزلوا الآيات الواردة في الكفار والمنافقين على عموم

المسلمين، ورفضوا اعتماد أقوال الصحابة وخيار التابعين، أو النظر في أسباب النزول، التي رواها الثقات العدول. وكانوا لأجل ذلك يقولون: نحن مشركون ما دمنّا في دار الشرك، فإذا خرجنا فنحن مسلمون، ومخالفونا في المذهب مشركون، ومرتكبوا الكبائر مشركون، والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفرة. وأباح هؤلاء قتل النساء، والصبيان من المسلمين، وحكموا عليهم بالشرك...⁹².

فعن جعفر بن أبي المغيرة القمي، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي قال: أثنى رجل من الخوارج، فقال له: (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)، الأنعام1. أليس كذلك؟ قال: بلى. قال: فأنصرف عنه، فقال له رجل من القوم: يا ابن أبزي، إن هذا أراد تفسير هذه الآية على غير ما ترى. إنه رجل من الخوارج. فقال: ردوه علي، فلما جاءه قال: أتدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قال لا: قال: نزلت في أهل الكتاب فلا تضعها على غير حدها⁹³.

وعن ابن أبي داود قال: أدخل رجل من الخوارج على المأمون، فقال: ما حملك على خلافنا. قال آية في كتاب الله تعالى. قال: وما هي؟ قال: قوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، المائدة 44. فقال له المأمون: ألك علم بأنها منزلة؟ قال: نعم. قال: وما دليلك؟ قال إجماع الأمة. قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل، فارض بإجماعهم في التأويل، قال: صدقت. السلام عليك يا أمير المؤمنين⁹⁴.

الثاني: الأخذ بظواهر النصوص، كآيات والأحاديث التي يفيد ظاهرها الكفر، دون التفرقة بين الكفر المخرج من الملة، والكفر المتعلق بالعمل الذي لا يضيع معه الإيمان⁹⁵.

فهم مثلاً فهموا اشتراط العمل لصحة الإيمان، اتكاء على آيات لم يوافقهم على مدرکها أئمة التفسير المحققون، كقوله تعالى: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)،⁹⁶ الأنعام 158.

لأن المراد منها كما بينه فقهاء التفسير، أن النفس التي لم تكن آمنت من قبل إتيان بعض الآيات، لا ينفعها إيمانها إذا آمنت عند نزول العذاب، فعلم منه أن النفس التي كانت آمنت من قبل نزول العذاب ينفعها إيمانها في الآخرة، لا كما يتوهمون⁹⁷.

قال ابن العربي في العواصم: "وأصل الظاهرين، الخوارج الذين قالوا: "لا حكم إلا لله" يعني أنهم أخذوا بظاهر قوله تعالى: (إن الحكم إلا لله ..)، الأنعام 57. ولم يتأولوه بما هو المراد من الحكم".

ولأجل هذا، مدح الله الراسخين في العلم، لأنهم تمكنوا في علم الكتاب، ومعرفة محامله، وقام عندهم من الأدلة ما أرشدهم إلى مراد الله تعالى، بحيث لا تروج عليهم الشبهة⁹⁸.

ما جاء من صحيح السنة في الخوارج

وقد جاءت السنة بدمهم، والتحذير من شرهم، والتنبيه على خطرهم، والتنصيص على عيوبهم، والإذن في قتالهم بعد إعدارهم⁹⁹، - لأن مقاتلتهم حدثت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم - وقد وصفوا في أحاديث صحيحة بلغت من عشرة أوجه¹⁰⁰ بأنهم:

- يقرؤون القرآن دون تدبر وفقه، ويعملون بما يفهمون دون لحاظ سنة النبي

صلى الله عليه وسلم، ودون اعتبار عمل الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم، قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم¹⁰¹، فأيما لقيتوهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة¹⁰².

- وأنهم على اجتهادهم، وشدة تبتلهم، وكثرة قراءتهم وتلاوتهم، لا يُقبل الله عليهم، ولا يُقبل أعمالهم. لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم¹⁰³.

فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وعطاء بن يسار، أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه في الحرورية فقال: أجل، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الحرورية يقول: يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ينظر الرامي إلى سهمه، ثم إلى نصله، ثم إلى رصافه، فينظر ويتمارى في الفوق هل علقَ به شيء من الدم أم لا¹⁰⁴؟

- وأنهم لتقولهم على الله بحمل الآيات على غير مراده، وغلوهم في دينهم، وسفكهم دماء المسلمين، وردهم سنة سيد المرسلين، وطعنهم في عامة المسلمين، خرجوا عن سنن المهتدين، وتفرقوا عن جمهور المؤمنين.

فعن ابن أبي أوفى، وأبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الخوارج كلاب النار¹⁰⁵.

وعن سعيد بن جُمهان قال: دخلت على ابن أبي أوفى وهو محجوب البصر، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا سعيد بن جُمهان.

فقال: ما فعل والدك؟ فقلت: قتلته الأزارقة. فقال: قتل الله الأزارقة كلها. ثم قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا إنهم كلاب أهل النار. قال: قلت: الأزارقة كلها أو الخوارج؟ قال: الخوارج كلها¹⁰⁶.

- وأنهم شر الخلق والخليقة، منهم خرجت الفتنة واليهم تعود.

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قوما يكونون في أمته، يخرجون في فرقة من الناس، سيماهم التحليق، هم شر الخلق، ومن شر الخلق، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق..¹⁰⁷.

- وأنهم يفرقون أمر الأمة، ويعتزلون سوادها، لاتهامهم لعامة أفرادها في دينهم، ولاعتقادهم ضلالهم في تعبدهم.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بحلية دم من يسعى إلى تفرقة جمع المؤمنين، ويجري في مفارقة سبيل المتقين عندما قال: "إنها ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهم جميع، فاضربوا رأسه بالسيف كائنا من كان"¹⁰⁸. وقال: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"¹⁰⁹.

وقال: "من أحب أن يرحل عن النار، ويدخل الجنة، فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع.. فإن جاء أحد ينازعه، فاضربوا عنقه الآخر"¹¹⁰.

وقد قال: "من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة

فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفني لذي عهد عهده فليس مني ولست منه" ¹¹¹.

وقال: "من خرج من الجماعة قيد شبر، فقد خلع رقبه الإسلام من رأسه حتى يراجع، ومن دعا دعوة جاهلية فإنه من جثي جهنم. فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام، قال: نعم وإن صلى وصام" ¹¹².

قال ابن عبد البر: "الآثار المرفوعة - في الاجتماع والائتلاف - كلها تدل على أن مفارقة الجماعة، وشق عصا المسلمين، والخلاف على السلطان المجتمع عليه، يريق الدم ويبيحه، ويوجب قتال من فعل ذلك" ¹¹³.

حكم الخوارج

اختلف العلماء في حكم أهل الخروج، ومشهور القول فيهم أنهم على قسمين:

أحدهما: أنه كحكم أهل الردة، لأنهم ردوا السنة، وكفروا الصحابة، واستحلوا دماء الموحدين.

وثانيهما: أنه كحكم أهل البغي، لأنهم خرجوا لطلب الملك فقط، سواء كانت فيه شبهة أم لا، وهم البغاة.

قال القاضي عياض:

أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي، متى خرجوا وخالفوا رأي الجماعة، وشقوا عصا المسلمين، ونصبوا راية الخلاف، أن قتالهم

واجب بعد إنذارهم والإعذار إليهم، قال الله تعالى: (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله).

لكنه لا يجهز على جريحهم، ولا يُتبع منهزمهم، ولا يقتل أسراهم، ولا تستباح أموالهم.

قال مالك: "إلا أن يُخاف منهم عودة، فيُجهز على جريحهم ويُتبع مدبرهم"¹¹⁴. ومما ورد مما يأذن بقتلهم، ويحث على قطع دابر بغيهم، قوله صلى الله عليه وسلم: "سيخرج أقوام في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام.. يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتهم فاقتلهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة"¹¹⁵.

وقوله: لو يعلم الجيش الذين يصيبون مالهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم، لا تكلوا على العمل"¹¹⁶.

وقوله علي حين قتل أهل النهروان:

والله لولا أن تبطروا، لأخبرتكم ما قضى الله تبارك وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من الفضل لمن قتلهم..¹¹⁷.

ولأجل ذلك قال الإمام مالك في سائر أهل البدع:

"يستتابون، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم". قال إسماعيل بن إسحاق: "رأى مالك قتل الخوارج، وأهل القدر من أجل الفساد الداخل في الدين، كقطاع الطريق، فإن تابوا وإلا قتلوا على إفسادهم"¹¹⁸. ولا شك في أنهم يستحقون النار، إن ماتوا على اعتقادهم الباطل في ألفاظ

القرآن ومعانيه، ورد السنة الصحيحة الزائدة جملة، وتكفير جمهور الصحابة، واستحلال دم المسلمين. لقوله صلى الله عليه وسلم: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية".

وقوله: "الخوارج كلاب النار".

وقوله: "هم شر الخلق والخلقة".

وبهذا الظاهر احتج من احتج من الصحابة لما اشتدت إذايتهم، وعظم خطرهم؛ ولا يستثنى منهم عند التأمل، إلا من اعتقد الخروج عن شبهة وتأويل، أو نشأ في الخروج ولم يبلغه سعي المهتدين.

ما بقي من فكر الخوارج

لم ينقطع فكر الخوارج بانقطاع دابر رؤوسهم، وضياح عامة أصولهم ومصادرهم، وذهاب جماعتهم ودولتهم، بل بقيت آثار قبيح اختياراتهم سارية في بعض أفراد الأمة منذ ظهور المحكمة الأولى، التي اختلفت في القرآن، والسنة، والعقيدة، والعبادة، والسلوك؛ معتمدة على آراء مزخرفة، وتأويلات مستنكرة.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ببقاء آثارهم واستمرار فتنتهم، إلا إذا شاء الله تعالى ألا تبقى، وسريان دعوتهم في عقبهم، فلا تنقطع ولا تفنى.

فعن أبي برزة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ذي الخويصرة: "يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق، لا يزالون يخرجون...، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، هم شر الخلق والخلقة"¹¹⁹.

- وقد اتفق خوارج الوقت مع أسلافهم الماضين في أمور كثيرة، لم يخرجوا بها في الجملة عن سننهم، وإن خالفوهم في الاعتقاد في الله، وفي القرآن، وفي السنة، وفي الصحابة:

الأول: أن الإيمان عند عامتهم هو الطاعة¹²⁰، فلا يكون بفعل العبادات المفترضة كلها، بالقلب واللسان وسائر الجوارح، خلافا لأهل السنة الذين يرون أن أصل الإيمان المعرفة بالله، والتصديق له، وبه، وبما جاء من عنده بالقلب واللسان، فإذا أتى بهذا الأصل، فقد دخل في الإيمان، ولزمه اسمه وأحكامه، ولا يكون مستكملا له حتى يأتي بفرعه، وفرعه أخذ الفرائض واجتناب المحارم¹²¹.

وهذا الرأي حملهم على تسمية أئمة الأمة، وفقهائها المستندين إلى عقد الأشعري رحمه الله مرجئة، لا تقيم للعمل وزنا، ولا ترى تركه موجبا للإنكار.

الثاني: تنزيل الآيات التي وردت في الكفار والمنافقين على المؤمنين، لأنهم لا يفرقون بين كفر الجحود، وكفر العمل¹²².

فعن نافع مولى ابن عمر أنه كان يرى الحرورية شرار خلق الله؛ وكان يقول: إنهم انطلقوا إلى آيات في الكفار فجعلوها على المؤمنين¹²³.

وعن ابن سيرين أنه قال فيهم: إنهم عمدوا إلى آيات الوعيد النازلة في المشركين، فوضعوها على المسلمين، فجاءوا ببدعة القول بالتكفير بالذنب¹²⁴. وردوا النصوص الصحيحة المحكمة في موالة المؤمنين ومحبتهم، وإن ارتكبوا بعض الذنوب التي تقع، والمكفرة بالتوبة النصوح، والاستغفار، والحسنات

الماحية، والمصائب المكفّرة، ودعاء المسلمين لهم في حياتهم وبعد موتهم، وبالامتحان في البرزخ، وفي موقف القيامة، وبشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة، وبصدق التوحيد، وبرحمة أرحم الرحمين، فهذه عشرة أسباب تمحق أثر الذنوب، فإن عجزت هذه الأسباب عنها فلا بد من دخول النار ثم يخرجون منها؛ فتركوا ذلك كله بالمتشابه من نصوص الوعيد، وردوا المحكم من أفعالهم وإيمانهم وطاعتهم بالمتشابه من أفعالهم..¹²⁵.

الثالث: فصل النصوص الشرعية عن سياقها، وسباقها، ولحاقها، وأسباب نزولها؛ كتزليلهم آية: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، المائدة 44. على ولاية الأمر الذين يصومون ويصلون.. دون أن يعلموا أنها نزلت أصالة في غير المسلمين¹²⁶.

وبهذا الاجتزاء في الفهم، كفر أسلافهم عليا، وعثمان، ومن والاهما. وقالوا: ومن حكم الرجال في دين الله، فقد حكم بغير ما أنزل الله، فيكون كافرا. ومن تولى الكافر فهو كافر، لقوله تعالى: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم). وقالوا إنه هو وعثمان ومن تولاهما مرتدون بقول النبي صلى الله عليه وسلم: لِيُذَادَنَّ - أي لِيُطْرَدَنَّ - رجال عن حوضي، كما يُذَادُ البعير الضال؛ فأقول: أي رب، أصحابي، أصحابي؛ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم¹²⁷.

الرابع: إنكار المذاهب المتفق على اعتبارها، والاقتداء بأئمتها، وترك الاعتداد بها، وباختياراتها المسددة بالوحي، وبعمل الصحابة، وعدم الاعتراف بمدارسها؛

وعدها طواغيت مقصودة في قول الله تعالى: والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت.. البقرة 256، ومخالفة لحكم الله الذي نادى به الخوارج الأولون، وجعلوه شعارا لهم.

- ولأنها فاسدة الاعتقاد في الإيمان؛

- ولأن فيها حكم البشر الذي لم ينزل به سلطانا؛

- ولأنها لا تمثل الشريعة المنزلة، لمخالفتها، لنصوص كثيرة صحيحة، تخالف في ظاهرها اختيارات الأئمة المتبوعين.

ولم يتسع ذهنهم لفهم أصلها، وإدراك حقيقتها، واستشعار أهميتها في جمع الكلمة، ووحدة الأمة؛ ولم تقتنع عقولهم بأنها مؤسسة على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وفقه أصحابه، وتفريعات أتباعهم المهتدين¹²⁸.

رفض مسائل الإجماع إلا ما وافق هواهم، لأن الإجماع المنقول لا يتحقق فيه شرطه عندهم، من جهة اتفاق المجموع المجهول بعض أفراده الذي لا سبيل إلى الوقوف على رأيه، ومن جهة فساد الاعتقاد الموجب لرفض اختياره.

ومن مسائل الإجماع التي خالفوها:

أن الإيمان يزيد وينقص، وأن مؤمني أهل القبلة الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبجميع ما أمر الله تعالى ورسوله بالإيمان به غير خارجين من الإسلام بكبائرهم، ولا مكفرين بها. وأن أحكام الإسلام جارية على القاتل، والزاني، وشارب الخمر، وسائر أهل الكبائر، مخاطبون باسم الإيمان، مشتملة عليهم

أحكامه، وأن المؤمن مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، غير كافر بها. وأن الصلاة جائزة على كل من مات من أهل القبلة، وإن أذنب أي ذنب كان. وأنه لا يقطع على أحد من عصاة القبلة في غير البدع بالنار، ولا على أحد من أهل الطاعة بالجنة إلا من قطع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم¹²⁹.

الخروج على الجماعة، والتميز عنهم في الهيئة وفي العبادة. لأنهم يدعون الحق المطلق، الذي تجب الموالاة والمعاداة فيه. ولم يلتفتوا إلى صحيح الأخبار الآمرة بلزوم الجماعة والاعتصام بحبلها، كقوله صلى الله عليه وسلم: "من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتل، فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه"¹³⁰.

وقوله: "من خرج من الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربه الإسلام من رأسه حتى يراجع، ومن دعا دعوة جاهلية فإنه من جثى جهنم. فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام، قال: نعم. وإن صلى وصام"¹³¹.

قال ابن عبد البر: "الآثار المرفوعة في - الاجتماع والائتلاف - كلها تدل على أن مفارقة الجماعة، وشق عصا المسلمين، والخلاف على السلطان المجتمع عليه يريق الدم ويبيح، ويوجب قتال من فعل ذلك؛ .. لأن الفرض الواجب، اجتماع كلمة أهل دين الله المسلمين على من خالف دينهم من الكافرين، حتى تكون كلمتهم واحدة، وجماعتهم غير مفترقة..¹³²

السابع: منازعة الأمر أهله، لأنهم لا يقرون ببيعة، ولا يرون أن رأي الجماعة يلزمهم، غافلين عن قوله صلى الله عليه وسلم:

"من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عَمِيَّةٍ يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتل، فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه"¹³³.

وقوله: "من خرج من الجماعة قيد شبر، فقد خلع ريقه الإسلام من رأسه حتى يراجع، ومن دعا دعوة جاهلية فإنه من جثى جهنم. فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلى وصام، قال: نعم. وإن صلى وصام"¹³⁴.

وهذه المنازعة جرأتهم على تكفير المسلمين، والطعن في إجماعهم والإنكار لبيعة إمامهم، والتعبد بقتل أنفسهم وقتل غيرهم، والسعي في الأرض بالإفساد.

قال نعيم بن حماد: قلت لسفيان بن عيينة: رأيت قوله: من ترك الجماعة فقد خلع ريقه الإسلام من عنقه؛ فقال: من فارق الجماعة، خلع طاعة الله والاستسلام لأمره وللرسول ولأولي الأمر. قال: ولا أعلم أحدا عوقب بأشد من عقوبتهم، ثم قال: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)، المائدة 32. ثم قال: هذا في أهل الإسلام¹³⁵.

الثامن: استحلال دماء الأبرياء من الرجال، والنساء، والولدان، والأطفال، بالخروج بالسلاح عليهم، والانغماس فيهم، وإزهاق أرواحهم، وإفساد

ممتلكاتهم، وترويع آمنهم، بحجة أن دماءهم، وأموالهم، وأعراضهم صارت
حلالاً، بسبب فساد معتقداتهم، وضلال مساعيهم. معتمدين في ذلك على
فهم، هو عند أهل التحقيق أوهى من بيت العنكبوت. ونسوا أن من استحل دم
مسلم فكأنما استحل دم الناس جميعاً، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دم
الناس جميعاً¹³⁶.

هوامش

- 1 ابن حبان 5/ 24
- 2 قال ابن حبان 16/234: يشبه أن يكون معنى هذا الخبر، أن الله جل وعلا جعل النجوم علامة لبقاء الفناء الذي كتب عليها، وجعل الله جل وعلا المصطفى أمانة أصحابه من وقوع الفتن، فلما قبضه الله جل وعلا إلى جنته أتى أصحابه الفتن التي أوعدوا، وجعل الله أصحابه أمانة أئمة من ظهور الجور فيها، فإذا مضى أصحابه أئمة ما يوعدون من ظهور غير الحق من الجور والباطل.
- 3 انظر الإقناع في مسائل الإجماع 1/ 95 وما بعدها.
- 4 مسلم برقم 50 عن عبد الله بن مسعود.
- 5 نشأ هوى التعثمان بعد مقتل عثمان رضي الله عنه المتوفى سنة خمس وثلاثين، ونشط بالبصرة حتى غلب على أكثرية أهلها، وظهر على بدع ساكنيها، كما قال أبو ناجية مولى أم هانئ، بل زعم أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي أنها دين كل بصري، وأشنع ما كان في اختيارهم تعبدهم ببغض علي رضي الله عنه، «وإنكار إمامته» ومناصرة مخالفه عليه، وتحمله وزر مقتل عثمان رضي الله عنه. وكان أولياؤهم يمدونهم بما يحتاجون إليه للنيل من علي بن أبي طالب وشيعته. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 4/ 103، ومنهاج السنة النبوية 7/ 339، والمنظوم لابن الجوزي 5/ 150.
- 6 وأما الشيعة فهم الذين شايعوا عليا رضوان الله عليه، وقدموه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالوا إنه الإمام بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأن الإمامة حق لأولاده. مقالات الإسلاميين 5، والتعريفات 443.
- 7 القدرية هم الذين تعبدوا بنفي الكتابة والعلم عن الله تعالى تنزيها له عن خلق ما يليق مما يبدو في تصرفات المكلفين، وقد نشطت في البصرة، وفيها حركت هواها الذي أثارته على مبدأ خلق العبد أفعال نفسه.
- 8 الجبرية، هم أتباع الجهم بن صفوان الذين قابلوا القدرية وقالوا: بأن الإنسان مسير لا مخير. وجعلوا العبد المأمور المنهي المكلف لا يستطيع من الخير والشر شيئا على الحقيقة، ولا يفعل شيئا على الصحة، وذهبوا إلى أن كل فعل ينسب إليه فإنما ينسب إليه على المجاز كما يقال في الموات: مال الحائط وإنما أميل، وذهب البرد وإنما ذهب به. الفرقان بين الحق والباطل 59، وخلق أفعال العباد 113، وأصول الدين 333، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين 103، وفتح الباري 13/ 347.
- 9 المرجئة هم الذين أخروا العمل عن الإيمان ولم يعدوه منه. وكان الإمام مالك بن أنس يذكر المرجئة عند ذكره قول الله تعالى: «وما كان الله ليضيع إيمانكم» إذ سمي الصلاة إيمانا ويقول: إني لأذكر بهذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان. لأن الله تعالى سمي الصلاة إيمانا لاشتغالها على نية وقول وعمل. انظر تفسير ابن كثير 2/ 157.
- 10 وسموا خوارج لقول النبي صلى الله عليه وسلم في زعيمهم ذي الخويصرة: يخرج من ضئضئ هذا قوم.. يمرقون.. أو لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.. وسموا مارقة لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وسموا حرورية لاجتماعهم على شعار: لاحكم إلا لله بحاروراء، ويسمون انفسهم الشراة لقولهم: إنهم باعوا الدنيا بالآخرة. انظر مسلم برقم 1064، ومقالات الإسلاميين 3، والمنية والأمل 104.
- 11 عن مسلم بن أبي بكر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل ساجد، وهو منطلق إلى الصلاة، فلما قضى الصلاة ورجع إليه وهو ساجد قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من يقتل هذا؟ فقام رجل فحسر عن ذراعيه واختلط سيفه وهزه ثم قال: يا نبي الله، باني أنت وأمي، كيف أقتل رجلا ساجدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد عبده ورسوله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يقتل هذا؟ فقام رجل فقال: أنا، فحسر عن ذراعيه، واختلط سيفه حتى رعدت يده فقال: يا رسول الله، كيف أقتل رجلا ساجدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد عبده ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والذي نفسي بيده لو قتلتموه لكان أول فتنة وآخرها. رواه أحمد 5/42 وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث 2/712 وأسناده صحيح.
- 12 فقال له النبي: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.. رواه البخاري برقم 3414، ومسلم برقم 6534.
- 13 كان مبتدعة الخروج من وقت تحكيم علي بن أبي طالب يردون عليه، ولا يرضون بفعله؛ فلما رجع، باينوه، فأتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا وقالوا: «لا تحك إلا الله» التي انتزعوها من القرآن، وحملوها على غير محلها، وكان ذلك أول ظهورهم، ونادى

مناديهم: إن أمير القتال شَبَّت بن ربيعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكَوَّاء البشكري، والأمر شورى. المنتظم لابن الجوزي 5/124/.

14 التبصير في الدين 26 وانظر تاريخ الأمم والملوك 3/114.

15 من كلام لابن رشد قاله في الكشف عن مناهج الأدلة. انظر إعلام الموقعين 4/253.

16 أما الأزارقة فهم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المكنى بأبي راشد فقيه الخوارج، ظهوروا بالعراق ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عددا ولا أشد منهم شوكة. انظر فتح الباري 12/297، والفرق بين الفرق 62.

17 وأما التَّجَدَّات، فهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، ظهوروا باليمامة وكان السبب في رياسته وزعامته أن نافع بن الأزرق، لما أظهر البراءة من القعدة عنه أن كانوا على رأيه، سماهم مشركين، واستحل قتل أطفال مخالفيه ونسائهم، وفارقه جماعة، وذهبوا إلى اليمامة، فاستقبلهم نجدة بن عامر في جند من الخوارج يريدون اللحوق بعسكر نافع، فآخبروهم بأحداث نافع، وردوهم إلى اليمامة، وبايعوا بها نجدة بن عامر، واكفروا من قال بإكفار القعدة منهم عن الهجرة إليهم، واكفروا من قال بإمامة نافع، وأقاموا على إمامة نجدة إلى أن اختلفوا عليه في أمور نعيموها منه. الفرق بين الفرق 67.

18 وأما الصَّفرية، فهم أتباع زياد بن الأصفر، وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، والأزارقة يرون ذلك وقد زعمت فرقة من الصفرية أن ما كان من الأعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه إلا بالاسم الموضوع له، كزنان وسارق وقاذف وقتل عمد، وليس صاحبه كافرا ولا مشركا، وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر، وصاحبه كافر.. الفرق بين الفرق 70، وانظر مقالات الإسلاميين 101، والملل والنحل للشهرستاني 137.

19 لسان العرب، مادة صفر.

20 وأما العجاردة فهم أتباع عبد الكريم بن عجرد، وكان عبد الكريم من أتباع عطية بن الأسود الحنفي. من مشهور قولهم: أن الطفل يدعى إذا بلغ، وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الإسلام، أو يصفه هو. وفارقوا الأزارقة في شيء آخر وهو أن الأزارقة استحلقت أموال مخالفيهم بكل حال والعجاردة لا يرون أموال مخالفيهم فينا إلا بعد قتل صاحبه.

21 وأما الإباضية فهم أتباع عبد الله بن إباض التميمي، وهم من عتاة الخوارج وعتقهم الذين كانوا ينكرون على الصالحين من مخالفيهم، ممن ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة فضلا عن غيرهم حتى تلا فيهم أبو الجوزاء هذه الآية: (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ). قال هم الإباضية. جامع البيان 4/66.

22 وأما الثعالبة، فهم أتباع ثعلبة بن مُشْكَن؛ وهؤلاء كانوا يقولون بإمامة عبد الكريم بن عجرد، ويقولون: إنه كان الإمام، إلى أن خالفه ثعلبة في التبرؤ من أطفال المسلمين، وسبب هذا الخلاف، تبرأ أحدهما من صاحبه، وكان يكفر كل منهما صاحبه. التبصير في الدين 57.

23 كان ذو الخويصرة كثر اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناثئ الجبين، محلوق الرأس. مسلم برقم 1064.

24 الكامل 3/1108.

25 مسلم برقم 1065

26 البخاري برقم 7123.

27 أبو داود برقم 4766 وابن ماجه برقم 175.

28 أحمد 3/486 ومسلم برقم 1068

29 الاستذكار 5/71

30 الاستذكار 5/71، وأحكام أهل الذمة 3/1293.

31 فتح الباري 8/68

32 وفي ترجمته صلى الله عليه وسلم لشعره وسواكه، وأخذه من شاربه ونحو ذلك، دليل على أنه ليس من السنة والشرعية ما خالف النظافة وحسن الهيئة في اللباس والزينة. ويدل على أن قوله صلى الله عليه وسلم: "البذاذة من الإيمان" أراد به طرح الشهرة في اللباس والإسراف فيه الداعي إلى التبختر والبطر. التعليق الممجد 1/156.

33 رواه أبو داود برقم 4161، وابن ماجه برقم 4118، والطبراني في المعجم الكبير 1/51 والحاكم 1/51.

34 تلييس إبليس 117.

35 إعلام الموقعين 1/214

36 أحمد 2/657 والبخاري برقم 4770 وأبو داود برقم 4767

- 37 أحمد 4/ 391 وابن حبان 15/ 104 واللفظ لأحمد.
- 38 أخرجه أحمد 2/219 ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد.
- 39 التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملقبي 47
- 40 انظر عون المعبود 13/ 78
- 41 أحمد 3/64 وأبو داود برقم 4765 والبيهقي في الكبرى 8/ 171
- 42 لأنه رضي الله عنه كان يعلم خطورة التأويل الذي بسبه كان افتراق أهل الكتابين وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبته التأويل، وإنما أريق دماء المسلمين يوم الجمل وصفين والحرّة وفتنة ابن الزبير وهلم جرا بالتأويل، وإنما دخل أعداء الإسلام من المتفلسفة والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية من باب التأويل؛ فما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل، فإن محنته إما من المتأولين، وإما أن يسلب عليهم الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل وخالفوا ظاهر التنزيل، وتعللوا بالباطلي؛ فما الذي أراق دماء بني جذيمة وقد أسلموا غير التأويل، حتى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، وتبرأ إلى الله من فعل المتأول يقتلهم وأخذ أموالهم، وما الذي أوجب تأخر الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية عن موافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير التأويل حتى اشتد غضبه لتأخرهم عن طاعته حتى رجعوا عن ذلك التأويل، وما الذي سفك دم أمير المؤمنين عثمان ظلماً وعدواناً وأوقع الأمة فيما أوقعها فيه حتى الآن غير التأويل، وما الذي سفك دم علي رضي الله عنه وابنه الحسين وأهل بيته رضي الله تعالى عنهم غير التأويل وما الذي أراق دم عمار بن ياسر وأصحابه غير التأويل، وما الذي أراق دم ابن الزبير وحجر بن عدي وسعيد بن جبير وغيرهم من سادات الأمة غير التأويل.. انظر إعلام الموقعين 4/251.
- 43 قال ابن قيم الجوزية في إعلام الموقعين 4/250: أصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يردّه الله ورسوله بكلامه، ولا دل عليه أنه مراده؛ وهل اختلف الاسم على أنبيائهم إلا بالتأويل، وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيره إلا بالتأويل، فمن بابه دخل إليها، وهل أريق دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل.
- 44 رواه النسائي برقم 8541
- 45 مسلم برقم 156
- 46 الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد 100، والغنية في أصول الدين 98.
- 47 وهو اعتقاد المجازدة من الخوارج. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص 49. والتبصير في الدين 140 والفرق بين الفرق 265 والملل والنحل 1/127. كتاب المواقف 3/ 694
- 48 التمهيد 7/ 145
- 49 التمهيد 9/ 84 و23/ 98، قال ابن القيم الجوزية: المروي عن ابن عباس، وحذيفة، وابن مسعود، أن من ترجحت سيئاته بواحدة دخل النار، وهؤلاء هم القسم الذين جاءت فيهم الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله، فإنهم يدخلون النار فيكونون فيها على مقدار أعمالهم، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه؛ ويلبثون فيها على قدر أعمالهم، ثم يخرجون منها فينبئون على أنهار الجنة فيفيض عليهم أهل الجنة بالماء حتى تبت أجسادهم، ثم يدخلون الجنة؛ وهم الطبقة الذين يخرجون من النار بشفاعاة الشافعين، وهم الذين يأمر الله سيد الشفعاء مراراً أن يخرجهم من النار بما معهم من الإيمان؛ وإخبار النبي أنهم يكونون فيها على قدر أعمالهم مع قوله تعالى: (بما كنتم تعملون). (وهل تجزون إلا ما كنتم تعملون). وقوله تعالى: (ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون). واضعاف ذلك من نصوص القرآن والسنة، يدل على ما قاله أفضل الأمة وأعلمها بالله وكتابه وأحكام الدارين، وأصحاب محمد والعقل والفطرة تشهد له، وهو مقتضى حكمة العزيز الحكيم الذي بهرت حكمته العقول. انظر طريق الهجرتين 569.
- 50 التمهيد 2/ 291
- 51 انظر التبصير في معالم الدين 208
- 52 فتح الباري 1/ 422
- 53 الفرق بين الفرق 62
- 54 التبصير في الدين 1/ 191
- 55 التمهيد 1/ 2
- 56 الفرق بين الفرق 70 وانظر مقالات الإسلاميين 101 والملل والنحل للشهرستاني 137
- 57 التنبيه والرد 50

58 وجمهور العلماء على التفريق بين الذنوب باعتبار مواجبتها وآثارها، إلا ما كان من بعض السادة الأشاعرة الذي عدوا الإقدام على مخالفة الله تعالى بمواقعة جمهور ما نهى عنه كبيرة، وكرهوا أن يسموها صغيرة إجلالاً لله تعالى، كالاستاذ الإسفرائيني، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين، وابن القشيري، وابن فورك. ولم يجعلوا رأيهم في إعظام الذنوب مطية لاتهم العامة في اعتقادهم، أوالطعن عليهم في إيمانهم كما فعل المعتدون بالخروج، حاشاهم من ذلك. ولأجل ذلك قال حجة الإسلام الغزالي في الذنوب باعتبار آثارها وما ورد فيها: لا يليق إنكار الفرق بين الكبائر والصغائر، وقد عرفنا من مدارك الشرع. انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر 1/5.

59 انظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد 384

60 قال ابن رجب: في جامع العلوم والحكم 30: أول اختلاف وقع في هذه الأمة وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم.

61 الإيمان لابن منده 1/331 قال الطاهر بن عاشور في قوله تعالى: (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون)، وإنما قبل (من كفر) بـ (من عمل صالحاً) ولم يقابل بـ (من آمن) للتبويه بشأن المؤمنين بأنهم أهل الأعمال الصالحة دون الكافرين، فاستغني بذكر العمل الصالح عن ذكر الإيمان لأنه يتضمنه، ولتحرير المؤمنين على الأعمال الصالحة لئلا يتكلموا على الإيمان وحده فتفوتهم النجاة التامة؛ وهذا اصطلاح القرآن في الغالب أن يقرن الإيمان بالعمل الصالح كما في قوله قبل هذه الآية (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون) حتى توهمت المعتزلة والخوارج أن العمل الصالح شرط في قبول الإيمان. التحرير والتنوير 1/3254

62 التبيين والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي 47

63 التبيين والرد 49 بتصرف يسير.

64 التمهيد 14/140

65 أحكام القرآن للجصاص 5/160

66 تفسير القرطبي 6/179

67 لسان الميزان 3/248

68 التبصير في معالم الدين 161 والاستذكار 24/52 وانظر مطالع التمام ونصائح الأنام، ومنجاة الخواص والعوام، في رد القول بإباحة إغرام ذوي الجبايات والإجرام، زيادة على ما شرع الله من الحدود والأحكام. 1/208

69 رواه البخاري رقم 321. وانظر التبصير في معالم الدين 161

70 التبصير في معالم الدين 162

71 أحكام القرآن للجصاص 2/79

72 فتح الباري 21/285

73 فتح الباري 12/285

74 فتح الباري 12/285

75 وهذا كان في متأخريهم، أما الأولون فاكشفوا بإعلان البغض في حق علي وعثمان. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء 5/374: وكان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام: أهل سنة، وهم أولو العلم، وهم محبوبون للصحابة كافون عن الخوض فيما شجر بينهم، كسعد وابن عمر ومحمد بن سلمة وأمم. ثم شيعة يتوالون ويتوالون ممن حاربوا علياً ويقولون: إنهم مسلمون بغاة ظلمة، ثم نواصب: وهم الذين حاربوا علياً يوم صفين، ويقولون بإسلام علي وسابقه ويقولون: خذل الخليفة عثمان. فما علمت في ذلك الزمان شيعة كفر معاوية وحزبه، ولا ناصية كفر علياً وحزبه، بل دخلوا في سب وبغض، ثم صار اليوم شيعة بكذا يكفرون الصحابة، ويروون منهم جهلاً وعدواناً، ويتعدون إلى الصديق قاتلهم الله.

76 عندما قال يقرؤون القرآن ليا رطباً كما هي رواية المغاربة. انظر شرح صحيح مسلم للنووي 4/178

77 رواه مالك برقم 1777 وأحمد 2/112

78 حجج القرآن 68

79 المائدة 44

80 المائدة 47

81 انظر بعض ما هنا في الإشارة إلى مذهب أهل الحق للشيرازي 215

- 82 التنبيه والرد 1/ 48
- 83 التبصير في الدين 26
- 84 التبصير في معالم الدين للطبري 161. وحجج القرآن 61. وانظر ردود أهل العلم على مدعي الإثم على الأنبياء، في كتاب تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لابن حمير؛ وكتاب تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى.
- 85 مسلم برقم والبيهقي في الكبرى 8/178 / مسلم: ك. الإمارة: ح 59
- 86 مسلم برقم 1852 والبيهقي في الكبرى 8/169 من طريقه.
- 87 مسلم برقم 1844 ورواه البيهقي 8/169
- 88 قال ابن القيم الجوزية: رد الخوارج والمعتزلة النصوص الصريحة المحكمة غاية الإحكام في ثبوت الشفاعة للعصاة وخروجهم من النار بالمتشابه من قوله: فما تنفعهم شفاعة الشافعين؛ وقوله ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته؛ وقوله: ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها ونحو ذلك. إعلام الموقعين 2/295.
- 89 قال أبو الوليد بن رشد المالكي في كتابه المسمى بالكشف عن مناهج الأدلة في قوله تعالى: فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه... هؤلاء أهل الجدل والكلام، وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف، أنهم تناولوا كثيراً مما ظنوه ليس على ظاهره، وقالوا: إن هذا التأويل هو المقصود به؛ وإنما أمر الله به في صورة المتشابه ابتلاء لعباده واختباراً لهم، ونعوذ بالله من سوء الظن بالله، بل نقول: إن كتاب الله العزيز إنما جاء معجراً من جهة الوضوح والبيان، فما أبعد من مقصد الشارع من قال فيما ليس بمتشابه: إنه متشابه، ثم أول ذلك المتشابه برعمه، وقال لجميع الناس: إن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل.. وبالجمل، فأكثر التأويلات التي زعم القائلون بها أنها المقصود من الشرع، إذا تأملت وجدت ليس يقوم عليها برهان. إعلام الموقعين 4/252.
- 90 إيتار الحق على الخلق 199
- 91 مصنف عبد الرزاق [جزء 10 - صفحة 152]
- 92 تليس إبليس 92
- 93 طبقات المحدثين بأصبهان 1/352
- 94 تاريخ بغداد 10/186 وتاريخ دمشق 23/306
- 95 قد يعبر في القرآن بالكفر عن المعصية كما قالت زوجة ثابت بن قيس: «أكبره الكفر في الإسلام» أي الزنى،.. وروى هذا عن ابن عباس. وقال طاووس «هو كفر دون كفر وليس كفراً ينقل عن الإيمان». وذلك أن الذي لا يحكم بما أنزل الله، قد يفعل ذلك لأجل الهوى وليس ذلك بكفر ولكنه معصية، وقد يفعله لأنه لم يره قاطعاً في دلالة على الحكم كما ترك كثير من العلماء الأخذ بظواهر القرآن.
- التحرير والتنوير 1 / 1144.
- 96 الأنعام 159
- 97 انظر التحرير والتنوير 1/1470
- 98 التحرير والتنوير 1/713
- 99 قال صلى الله عليه وسلم: "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد". انظر مسلم برقم 1064. ولم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم ذا الخويصرة لأنه كان معدوداً في أصحابه، وكان يخشى إن قتله، أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. انظر إكمال المعلم 3/608
- 100 قال ابن القيم: قال الإمام أحمد: صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج من عشرة أوجه، وهذه هي العشرة التي قد استوعبها مسلم في صحيحه. انظر حاشية ابن القيم على سنن أبي داود 13/74
- 101 وردت أحاديث كثيرة في وصف الخوارج بعدم الفقه منها: ما رواه أبو برزة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ذي الخويصرة: «يخرج في آخر الزمان قوم كان هذا منهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق، لا يزالون يخرجون... فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، هم شر الخلق والخليفة. رواه النسائي برقم 4103. وما رواه سهل بن حنيف قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر هؤلاء الخوارج، قال: سمعته وأشار نحو المشرق: يخرج منه قوم يقرؤون القرآن بالسنتهم لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. رواه البخاري برقم 6535 ومسلم برقم 1068.
- وعن علي بن أبي طالب قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فقال: كيف أنت وقومك؟ وكذا؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: ثم أشار بيده فقال: قوم يخرجون من قبل المشرق، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فيهم رجل مخدج اليد كأنها ثدي حيشية، أنشدكم الله، هل أخبركم أنه فيهم فاتيتموني فآخبرتموني إنه ليس فيهم، فحلفت لكم أنه فيهم، فاتيتموني تستحيونه كما نعت لكم؟ قالوا: نعم. فأهل وكبر وقال: صدق الله ورسوله. أخرجه أحمد وأبو يعلى

- وابن أبي عاصم في السنة بإسناد صحيح
 102 البخاري برقم 3415 ، ومسلم برقم 1066. قال القاضي عياض: يقرؤون القرآن [لا يتجاوز تراقيهم] فيه تأويلان: [التأويل الأول] أنه لم يتفقه قلوبهم، ولا انتفعوا بما تلوا منه، ولا لهم فيه حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحنق، إذ بهما تقطع الحروف. والتأويل الآخر: أنه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا تقبل إكمال المعلم 3/609
- 103 انظر مسلم برقم 1064
- 104 رواه البخاري برقم 6532 ومسلم برقم 1064.
- 105 رواه أحمد والبيهقي والحاكم في المستدرک عن ابن أبي أوفى واحمد والحاكم عن أبي أمامة.
- 106 ظلال الجنة 2 / 143
- 107 رواه أحمد 2/53.
- 108 مسلم برقم والبيهقي في الكبرى 8/178 / مسلم ك.: الإمارة حديث 59.
- 109 مسلم برقم 1852 والبيهقي في الكبرى 8/169 من طريقه.
- 110 مسلم برقم 1844 ورواه البيهقي 8/169
- 111 مسلم برقم 1848
- 112 مصنف عبد الرزاق 11/339 والنسائي في الكبرى 5/272
- 113 التمهيد 21/
- 114 إكمال المعلم 3/614
- 115 مصنف عبد الرزاق 10/157
- 116 أخرجه مسلم وأبو داود وابن أبي عاصم في كتاب السنة
- 117 المغني لابن قدامة 9/7
- 118 النسائي برقم 4103 قال الشوكاني: مازالت تخرج منهم على المسلمين طائفة بعد طائفة، ومنهم شرذمة باقية إلى الآن، يقال لهم: الإباضية بأطراف الهند، لا يزالون يخرجون على المسلمين في برهم وبحرهم. إرشاد النقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات للشوكاني 55
- 119 انظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد 396
- 120 الإيمان لابن منده 1/331
- 121 قال ابن القيم: الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود وعناد؛ الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا.. وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه. وأما كفر العمل، فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاده، فالسجود للصم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي، وسبه، يضاد الإيمان، وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة، فهو من الكفر العملي قطعاً.. انظر الصلاة وحكم تاركها 72.
- 122 التمهيد 23/335
- 123 التحرير والتنوير 1/26
- 125 إعلام الموقعين 2/304
- 126 أبو داود برقم 3576 وعن البراء بن عازب قال: مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي محمى مجلود، فدعاهم فقال: وهكذا تجدون حد الزاني؟ « قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم قال له « نشدتك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهلكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ » فقال: اللهم لا. ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكننا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه، وإذا أخذنا [الرجل] الضعيف أقمنا عليه الحد. فقلنا: تعالوا فنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد، وتركنا الرجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه » فأمر به فرجم، فأمر الله عز وجل « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر » إلى قوله « يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا » إلى قوله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » في اليهود، إلى قوله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » في اليهود، إلى قوله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ». قال هي في الكفار كلها.. أبو داود برقم 4448.
- 127 منهاج السنة النبوية 7/260 ط. طهارة: 28 / م: طهارة: 39.

- 128 انظر مقالات الكوثري 212
129 الإقناع في مسائل الإجماع 1/9 و10.
130 مسلم برقم 1848
131 مصنف عبد الرزاق 11/339 والنسائي في الكبرى 5/272
132 التمهيد 21/282
133 مسلم برقم 1848
134 مصنف عبد الرزاق 11/339 والنسائي في الكبرى 5/272
135 التمهيد 21/282.
136 تفسير ابن كثير 2/65 عن سعيد بن جبير.